ألم يكن سيِّد الوجود محمد صلوات الله عليه إذا أراد غزوة ورّى بغيرها ؟

ألم يغيِّر طريقه حينما اتجه في الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ؟ ؟

أليس هو القائل : « الحَربُ خَدْعَة » ؟[1] .

* * *

## تواضع أبي عبيدة وزهده!!

حدَّثنا التاريخ أحاديث عجيبة عن الرَّعيل الأول ، من ذلك ما قاله لنا :

أن رجلاً من الروم جاء إلى معسكر المسلمين يقصد الصلح بينهم وبين الروم ، فلم يعرف أبا عبيدة من بقيَّة جنده حتى قال : يا معشر العرب ، أين أميركم ؟!

فقالوا : هو ذا ، فنظر فإذا هو بأبي عبيدة بن الجرَّاح جالس على الأرض ، وعليه الدرع الحديدي ، وقد أمسك بفرسه ، وبيده أسهُم يُقلِّبها ، فقال الرومي : أنتَ أمير هؤلاء ؟! قال : نعم ، قال : ما يُجلسكَ على الأرض ؟ أرأيتَ إن كنتَ جالساً على وسادة أو كان تحتكَ بساط أكان ذلك واضعكَ عند الله ؟ أو هل يبعدكَ من الإحسان ؟ فقال له الأمير أبو عبيدة : لو كان عندي بساط أو وسادة ما كنتُ لأجلسَ عليها ، وأُجلِسُ أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه خيرٌ منِّي منزلةً عند الله عز وجل على الأرض ، ونحن عباد الله نمشي على الأرض ، ونجلس عليها ،

---

(١) حديث متفق عليه .

ونأكل عليها ، ونضطجع عليها ، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً ، بل تعظم به أجورنا ، وتُرفع به درجاتنا!!

وأمّا زهده : فشيءٌ لا يستطيع الإنسان إلا أن يقفَ بخشوعٍ أمامه :

قال ابن وهب : حدَّثني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن عمر رضي الله عنه حين قدم الشام ، قال لأبي عبيدة : اذهب بنا إلى منزلك ، قال : وما تصنعُ عندي ؟ ما تريد إلا أن تعصرَ عينيكَ عليَّ ، قال : فدخل فلم يرَ شيئاً!!

قال عمر : أين متاعكَ يا أبا عبيدة ؟ إنني لا أرى إلا لُبَداً وصفحةً وشنّاً وأنتَ أمير ، أعندكَ طعام ؟!

فقام الأمير أبو عبيدة إلى جونة[1] ، فأخذ منها كُسيرات ، فبكى أمير المؤمنين الفاروق ، فقال له الأمير أبو عبيدة : قد قلتُ لكَ إنكَ ستعصرُ عينيكَ عليَّ يا أمير المؤمنين ، يكفيكَ ما يُبلِّغُكَ المقيل ، فقال الفاروق : غيَّرَتْنا الدنيا كلُّنا غيركَ يا أبا عبيدة[2] .

وصدق المصطفى ﷺ : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح »[3] .

* * *

(١) جُونَة : سلّة مستديرة مغشّاة أدَماً : [اللسان : جون] .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٦٢ .
(٣) رواه الترمذي : ٩/ ٣٢٥ .